مبدأ التكافؤ في تحليل النصوص الشعرية

د.غادة محمد فتحي إبراهيم
أستاذ مساعد الأدب والنقد الحديث بجامعة
الأميرسطام بن عبد العزيز- المملكة العربية السعودية
تم دعم هذا المشروع بواسطة عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير
سطام بن عبد العزيز من خلال المقترح البحثي رقم
2019/02/10725

الملخص
تكمن أهمية تطبيق منهج طبقات التكافؤ الذي اقترحه هاريس في تحليل النصوص في مقدرة هذا المنهج على إظهار مؤشرات وقوانين تماسك النصوص الشعرية ، كما يتيح في ذات الوقت آليات جديدة في مجال تحليل النص على المستويين الشكلي ، والسياقي .. ويبين البحث كذلك أن التحليل باستخدام منهج طبقات التكافؤ يمكنه عن الكيفية التي تنبني عليها النصوص عبر مستويات تحليلية مختلفة .
و يهدف البحث إلى توضيح مفهوم مبدأ التكافؤ عند هاريس في تحليل النصوص الشعرية ، ثم الكشف عن آلية تحليل النص وفق منهج طبقات التكافؤ ، وصولا إلى إظهار الطريقة التي يتماسك بها النص ، و ذلك من خلال تحليل مجموعة من قصائد الشعر العربي .
و في إطار تطبيق منهج طبقات التكافؤ في دراسة النصوص الشعرية ، يسعى البحث إلى إثبات أن الجمل تترابط داخل القصيدة وفق تكافئية خاصة ، و أن قوانين انتظام الجمل لا تتشكل على نحو اعتباطي بل وفق نظام خاص . كما يسعى البحث في الوقت نفسه إلى بيان أن تكافؤ الجمل الشعرية يعمل على كافة مستويات تحليل النصوص سواء المستوى الشكلي (اللغوي) ، أو المستوى السياقي (غير اللغوي) من الناحية الأخرى ، كالمستوى التركيبي ، والدلالي ، والتعبيري ،والتناصي ، والإيقاعي ، والصوتي .
الكلمات المفتاحية : التكافؤ ، طبقات التكافؤ ، هاريس ، انتظام الجمل .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد و على آله وصحبه ومن تبعهم إلى
يوم الدين ، وبعد

لقد أسهم الدارسون في تحليل النصوص الشعرية موظفين في ذلك ما قدمه تطور اللسانيات من أدوات نقدية جديدة يمكنها أن تستخرج الكثير من الإمكانيات الفنية للشعر العربي ، وقد زاد من قدرة الدارسين على تحليل النصوص الشعرية تلك الأدوات التي طلعت بها مناهج تحليل الخطاب من أدوات الاتساق والانسجام ، وأنظمة وقوانين التماسك النصية مما أتاح إمكانية اكتشاف المزيد من فنية النص .

وقد طبقت اللسانيات عدة مقاييس لتحليل النصوص والكشف عن بنياتها ، ومن تلك المقاييس ما أطلق عليه هاريس منهج طبقات التكافؤ الذي يثبت من خلاله أن الجمل تترابط على نحو ما ، وأن مهمة الدارس هي الكشف عن هذا النحو التركيبي للجمل .

ويسهم تحليل النصوص اعتمادا على طبقات التكافؤ في بيان النحو الذي تترابط به أجزاء النص على المستويات التحليلة الشكلية المتعلقة باللغة والتركيب والإيقاع من ناحية ، وعلى المستويات السياقية الدلالية والتناصية من ناحية أخرى .

و يسعى هذا البحث لاستخدام منهج طبقات التكافؤ في تحليل النصوص الشعرية ، وبيان الكيفية التي تتماسك بها من خلال تحليل مجموعة من قصائد الشعر العربي عبر المستويات التحليلة المختلفة للكشف عن مدى فعالية استخدام منهج طبقات التكافؤ في دراسة النصوص من جهة ، واستخراج الإمكانيات الفنية التي لا تنتهي للنص الشعري من جهة أخرى .

تساؤلات البحث : يجيب هذا البحث عن جملة من التساؤلات ، تتمثل فيما يأتي :

ما مفهوم مبدأ التكافؤ عند هاريس ؟

ما صور التكافؤ في النصوص الشعرية ؟

كيف يطبق مبدأ التكافؤ في دراسة وتحليل النصوص الشعرية ؟

الدراسات السابقة :

من الدراسات الهامة التي تناولت تحليل النصوص الشعرية وفق نسق ونظام لغوي دراسة بعنوان :

- **تحليل الخطاب الشعري** أ.د.عبد المجيد بنجلالي ، الدراسات الأدبية والنقدية ، سوريا دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، 2018 .

في هذه الدراسة تحليل للنص العربي عبر ما يُمليه هذا النصّ من آليات تحليل الخطاب بحيث تكشف المخفيّ في هذه النصّوص. تناولت أيضا

حقل الخطاب السيميائيون، واللسانيون، والمناطقة، والباحثون الذين يرْكنون إلى التحليل التواصلي. ومفهوم الخطاب الذي بدأ ضعيفًا مع فردناند دي سوسير 1)ـ Saussure de.F ،(ثم بدأ يقوى ويزداد بريقه ليحيا ويُتدارك من جديد، وتُضاف إليه إضافات اقتضاها منطق الخطاب. وركزت الدراسة على كون الخطاب ليس نصًّا مكتوبًا فحسب؛ وإنما هو نسق ونظام لغوي ناتج عن تفاعل اجتماعي، ولا بدّ من استحضار الإدراك الحسّي والعقلي لفكّ شفرات النصّ إ ثم كشفت الدراسة عن التواصل الإيقاعي والدلالي للنص الشعري بعيدًا عن النظرية التجزيئية التي كانت تنتقي الظاهرة أو تقف عند حدود الأبيات الشاخصة في النصّ الشعري. ولتحقيق هذه الغاية،اختار الباحث ثلاثة نماذج، و أربعة نصوص: نصّان من الشعر الجاهلي، ونصّ من الشعر الحديث (النمط الكلاسيكي) ، ونصّ من الشعر المعاصر (قصيدة التفعيلة). وقد استطاع الباحث من خلال مجموعة من الوسائل التحليلية التي استدعتْها تربةُ النصّ، أن يفجّرَ مجموعة من الينابيع، و أن يُفعِّل الإيقاع الخليلي، ويشكفَ بطرق جديدة عن الطابع الموسيقي للقوالب الخليلية الجاهزة في النصّ الشعري .

و هذه الدراسة وإن تناولت النصوص الشعرية بأودات تحليل الخطاب فهي بعيدة كل البعد عن موضوع هذا البحث .

ودراسة أخرى بعنوان : - **" تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التناص**- محمد مفتاح, المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , المغرب .

تناولت هذه الدراسة عناصر تحليل الخطاب و قراءة النص الشعري من وجهتي التعبير والمضمون وعبر تطبيق مفهوم التشاكل ، ومن ثم يمكن أن تتعدد القراءات للنص الواحد بحسب ما حاول الباحث أن يبرهن .و تثبت الدراسة أيضا أن للنص عالمه الخاص بحيث لا يحيل على الواقع إلا ليخرقه , كما تثبت من ناحية أخرى ثراء النص والقراءة . والباحث يختار في كل ذلك نماذج من الشعر يطبق عليها آليات ياكبسون .

وهذه الدراسة كذلك بعيدة عن موضوع البحث حيث لا تتناول منهج التكافؤ في تحليل النصوص .

مفهوم مبدأ التكافؤ

منذ أن اتجهت اللغويات للتركيز على دراسة النص، بدلا من الاهتمام بالجملة وحدها في الإطار التحليلي ، بدأ الدارسون بتبني دعوات للكشف عن طرق ترابط النصوص . ويعد الأميركي هاريس من رواد هذا المجال ؛ فقد دعا إلى دراسة النصوص وفق مبدأ التكافؤ والذي يقوم على أساس أن كل جملة في النص تمثل بمتوالية من

طبقات التكافؤ ، وبحيث تكوّن مجموع الجمل داخل النص مجموعة من المتواليات التي يظهر التحليل نوعا من الترابط فيما بينها ،ويمكن أن يتحقق ذلك الترابط على مستوى التكافؤ اللغوي من ناحية ، أو التكافؤ الثقافي (غير اللغوي) من ناحية أخرى .

إن اهتمام هاريس بالتكافؤ بين مجموعة الجمل أو المتواليات داخل نص ما يقوم بالدرجة الأولى على أساس أن الجمل تترابط فيما بينها على نحو غير اعتباطي . وبحسب تحليل هاريس تعتبر أجزاء نص ما متكافئة فيما بينها إذا كانت تشير إلى نفس المعنى أو المحيط اللغوي نفسه ، و بحيث تشكل كل مجموعة من العناصر المتكافئة فيما بينها طبقة تكافؤ . وبذلك يعمل مبدأ التكافؤ في تحليل النصوص عند هاريس على رصد أشكال التكرار والتقارب اللغوي والاجتماعي بين الجمل وصولا إلى الكشف عن بنية تماسك النص .

مبدأ التكافؤ في تحليل النصوص الشعرية

يقتضي منهج طبقات التكافؤ الذي اقترحه هاريس في التحليل التوزيعي للخطاب أن تصنف النصوص إلى عناصر متكافئة فيما بينها حيث تتكون كل مجموعة من أجزاء متطابقة داخل الجملة الواحدة ، كما تتكون من أجزاء متطابقة متمثلة في الجمل المتعاقبة .وبذا يكون التكافؤ نوع من تماسك النص حيث يظهر الترابط بين الجمل من خلال علاقة التقارب . و يمثل ذلك النص التالي :

إن لم يكن وصل لديك فعد به
أملي و ماطل إن وعدت و لا تفي

هنا يكون (وصل) ، و(عد به) متكافئين لأنهما يظهران في نفس محيط المعنى ، وكذلك (ماطل) ، و(لا تفي) ينتميان إلى طبقة التكافؤ نفسها .

التناسق النصي عبر مبدأ التكافؤ

يعمل التكافؤ بين عناصر الملفوظات على تحقيق قدر من التناسق النصي بينها ؛ و يتحقق التناسق على أساس اتجاهين رئيسيين هما ؛ الاتجاه النصي الشكلي الذي اهتمت به اللسانيات الحديثة من ناحية ، و الاتجاه السياقي الذي يربط النص بأطراف التواصل ومن ثم ربط عملية التلفظ بالسياق الاجتماعي من ناحية أخرى . ومعنى هذا أن التكافؤ النصي هو أحد عناصر الترابط بين الجمل ، أو داخل الجملة الواحدة باعتبار أن الجملة هي الوحدة الصغرى المكونة للنصوص .

التكافؤ الشكلي

يتحقق التكافؤ الشكلي من خلال العلاقات التركيبية التي تنتظم أجزاء النص وتصل بها إلى الترابط . وتعد الإحالة المقالية من صور الترابط الشكلي ، و تتحقق عندما يرتبط عنصر بآخر داخل النص

من خلال الروابط اللغوية ؛ كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وغيرها من أدوات الربط .
و تكون كل مجموعة من الإحالات المتقاربة طبقة من طبقات التكافؤ داخل النص ، ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى : " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه " ، ففي الآية تتكرر الإحالة للمؤنث ثلاث مرات مكونة طبقة تكافؤ ، وهي : التاء في (راودته) ، والاسم الموصول (التي) ، والضمير ها في (بيتها) ، على حين تتكون طبقة أخرى من التكافؤ في الإحالة إلى المذكر و التي تتكرر في الآية ثلاث مرات أيضا وهي : الضمير هاء في (راودته) ، والضمير المنفصل (هو) ، و الضمير هاء في (نفسه) .

التكافؤ السياقي

ارتبط التحليل اللفظي عند باختين و ياكوبسون بالمؤشرات السياقية للغة ، حيث اعتبرت اللغة مظهرا اجتماعيا ثابتا يعبر عن حضور أو غياب أطراف التواصل . ولا يرتبط التكافؤ السياقي بالمتكلم والمتلقي فحسب ، بل بسياقات أخرى تتعلق بثقافة الجماعة ؛ فاللغة - بحسب سوسير - هي ظاهرة اجتماعية أنتجتها عقلية الجماعة ، وهي موجودة بشكل مستقل داخل نفسية كل فرد . وبقدر ما تكشف اللغة عن ثقافة ونفسية الأفراد ، فهي أيضا وسيلة التواصل بين الفرد والمجتمع بشكل منظم ومتسق مع أنظمة وأعراف المجموعة اللغوية . وسواء كان الفرد منتجا أو متلقيا للغة فهو يتحرك ضمن إطار الثقافة الجمعية التي ينتمي إليها .
و تعد الإحالة المقامية أحد أشكال الترابط السياقي حيث يتصل النص بسياقات خارجية قد تتمثل في المتكلم أو المتلقي ، أو المجتمع ، أو الثقافة ...إلخ ، و من نماذج التكافؤ السياقي الإحالة المقامية في قول الشاعر :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ففي البيت السابق إحالة مقامية تكون طبقة تكافؤ هي : الظبي أو الريم (المحبوبة) ، والمكان وهو القاع المحدد موقعه (بين البان والعلم) . وتحيل عناصر هذه الطبقة إلى : (الرقة) - يشير إليها الظبي ، و (الأمان) الذي يشير إليه المكان السهل (القاع) حيث يمكن أن يتحرك فيه الظبي باطمئنان .
و أما الطبقة التكافئية الثانية فتحيل إلى : (إراقة الدم ، انتهاك الحرمات) ، وتظهر في (أحل سفك دمي ، في الأشهر الحرم) ، والرابط بين الطبقتين هو علاقة التناقض ؛ بين رقة وجمال (الظبي) ، وبشاعة سفك الدم من ناحية ، والمكان السهل الآمن (القاع) ، والزمان الذي ينتهك فيه الأمن وهو الأشهر الحرم من ناحية أخرى .

صور التكافؤ في قصائد من الشعر العربي

التكافؤ التركيبي

تظهر طبقات التكافؤ على المستوى التركيبي من خلال الاختيارات اللغوية للمتكلم باعتباره ممتلكا للتراث اللغوي الهائل ، و متمثلا لصور تراكيبه العديدة ، فالمستوى التركيبي للغة يتميز بسمة الاختيار ضمن صور التراكيب اللغوية ما بين تكوينات الجمل الفعلية (فعل + فاعل + مفعول به) ، أو (فعل + مفعول به + فاعل) ، أو (فعل + فاعل) ، أو (فعل + فاعل + مفعول معه).....إلى آخر الصور الممكنة للجمل الفعلية ، وكذلك الأمر في الجمل الإسمية ، و أشباه الجمل والتوابع ، والصيغ ، و الاشتقاقات .. إلخ .

التكافؤ التركيبي في قصيدة أحلام الفارس القديم

يسير تركيب القصيدة في طبقات متكافئة من الجمل الفعلية وفق الجدول التالي :

فعل (ماض) + فاعل مفرد	فعل (مضارع) + فاعل مفرد
أكسبني التعتيمَ والجهامه حين سقطتُ فوقه في مطلع الصِّبا انخلع القلبُ، وولّى هارباً بلا زِمامْ لو أطعمتُهم من قلبيَ الوجيعْ	يأفلُ الزمانُ يا حبيبتي وينطفي غرامُنا الطويل إذ يعبر السبيلْ فينحني، يعجبُه بريقُنا لا يبرحُ المضيقْ يبشّر الملاحَ بالوصولْ يجنّ ليلُ البحرِ ثم ينام فوق قِلْعِ مركبٍ قديمْ يؤانس البحَّارةَ ويوقظ الحنينَ للأحباب والوطنْ ويرتوي من عَرَقِ الغيومْ ثم ينام فوق قِلْعِ مركبٍ قديم أودُّ أودُّ لو يُحرقني ضياعُهم، أودُّ لو أُضيءْ يفترُّ عن ظلّ النجوم وجههُ الوضيءْ أُعطيكَ ما أعطتنيَ الدنيا من التجريب يُعدني حبُّكِ الرقيقُ للطهاره

	صافيةً أراكِ
فعل (مضارع) + فاعل مفرد + مفعول جمع	**فعل (ماض) مبني للمجهول**
يدفئنا حُنوُّنا! يدركُنا الأفولْ يبعثنا الإلهُ وقد يرانا مَلَكٌ يلقطنا، يمسحنا في ريشه، يرشقنا في المفرق الطهورْ ! يطوينا معاً.. معا يضمُّنا معاً طريقْ يضمّنا معاً طريقْ يدفعُنا من مهدنا للحْدِنا معا	صُفِّيتا من الرمال والمحارْ تُوّجتا سبيكةً من النهار والزبدْ أُرهقوا بغربة الديارْ
فعل (مضارع) + فاعل جمع	**فعل (ماض) + فاعل جمع**
نعري بدَنَا ونستحمُّ في الشتا، نكتسي ثيابَنا الملوّنه نخلعُ الثيابَ ثم نعودُ موجتين توأمينْ نضيء للعشّاق وحدهم نشدّ عينَهُ ويؤنسون خوفَهُ وحيرتهْ نودُّ لو نخلعهُ نودُّ لو ننساه نودّ لو نُعيده لرحمِ الحياه فنعرفُ الحبَّ كغصنيْ شجره لا نفترقْ	اصطبغنا خضرةً مزدهره استطلنا فاعتنقنا أذرُعا التقينا
فعل + فاعل مؤنث	
وانكسرتْ قوادمُ الأحلامْ تشربُنا سحابةٌ رقيقه	

تذوب تحت ثغر شمسٍ حلوة رفيقه
أن تدوس في فؤاديَ الأقدامْ
أن تجلدني الشموسُ والصقيعْ
لكي تُذلَّ كبريائيَ الرفيعْ

و تظهر في القصيدة كذلك طبقات من التكافؤ للجمل الإسمية كما يلي :

الجمل الإنشائية (التمني + الاستفهام)	**الجمل الإنشائية (النداء)**
لو أننا كنّا كغُصنيْ شجره لو أننا كنا بشطّ البحر موجتينْ لو أننا كنا بخَيْمتين جارتينْ لو أننا كنّا جناحيْ نورسٍ رقيقْ لو أننا لو أننا لو أننا، ماذا جرى للفارس الهمامْ؟	يا فتنتي يا فتنتي مُجرِّبٌ قعيدْ يا فتنتي محارباً صلباً يا حبيبتي يا من يدلُّ خطوتي على طريقِ الدمعةِ البريئه! يا من يدلُّ خطوتي على طريقِ الضحكةِ البريئه! يا حبيبتي أيقنتُ أننا مفترقانْ
الجمل الخبرية (الخبر جملة فعلية)	**الجمل الخبرية (الخبر شبه جملة مقدم)**
الشمسُ أرضعتْ عروقَنا معا والفجرُ روّانا ندىً معا منقاره يقتاتُ بالنسيمْ	من شرفةٍ واحدةٍ مطلعُنا في غيمةٍ واحدةٍ مضجعُنا لكَ السلامْ لكَ السلامْ
الجمل المنسوخة بفعل	**الجمل المنسوخة بحرف**
قد كنتُ في ما فات من أيّامْ كنتُ أعيش في ربيع خالدٍ، أيَّ ربيعْ وكنتُ إنْ ضحكتُ صافياً، كأنني غديرْ ليس غيرَ «أنتِ» من يُعيدُني للفارسِ القديمْ وكنتُ إنْ بكيتُ هزّني البكاءْ وكنتُ عندما أحسُّ بالرثاءْ وكنتُ عندما أرى المحيَّرين الضائعينْ	لكنّنا.. لأنها تقول في حروفها الملفوفةِ المشتبكه بأننا نُنكرُ ما خلّفت الأيامُ في نفوسنا لكنني كأنما كبرتِ خارجَ الزمنْ وأنني سوف أظلُّ واقفاً بلا مكانْ

التكافؤ الدلالي

يتحقق التكافؤ الدلالي بين عناصر نص ما عندما تشترك كل مجموعة من العناصر في دلالة مطابقة أو مكافئة ، وبذا تشكل كل مجموعة من العناصر المتكافئة طبقة تكافؤ . ؟

التكافؤ الدلالي في قصيدة غريب على الخليج

يظهر التكافؤ الدلالي في هذه القصيدة من خلال ست طبقات هي :

الحزن ، البعد ، الذكرى ، الحب ، الشوق ، المعاناة ، الخيال ؛

الحزن

تبدأ القصيدة بطبقة من التكافؤ الدلالي في إطار الحزن ، تمتد على نحو دائري إلى نهاية القصيدة ؛ فبداية الطبقة : " و يهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج " ، ثم يعلو الحزن و يتتابع :

أعلى من العباب يهدر رغوه من الضجيج

صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى : عراق

كالمد يصعد ، كالسحابة كالدموع إلى العيون

الريح تصرخ بي : عراق

و الموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق

و ضمن طبقة الحزن أيضا قول الشاعر : بذلك القصص الحزين

وتظهر طبقات من التكافؤ قرب نهايات القصيدة في ذات المحور ، يقول الشاعر :

وا حسرتاه .. فلن أعود إلى العراق ، ويقول : لتبكين على العراق ، و أيضا : فما لديك سوى الدموع .

البعد

يتحدد هذا المحور في القصيدة ببعد الوطن " العراق " وتتشكل طبقاته التكافئية من العبارات :" الموج أوسع ما يكون و أنت أبعد ما يكون " ، " والبحر دونك يا عراق " ، " ليت السفائن لا تقاضي راكبيها من سفار أو ليت أن الأرض كالأفق العريض بلا بحار " .

الذكرى

تعتبر الذكرى في القصيدة أحد المحاور الدائرية كذلك حيث يتكور الزمان فترتسم صورة الماضي كما يقول الشاعر :

هي دورة الأفلاك في عمري ، تكور لي زمانه ، و تتكون طبقات هذا المحور في الصورة ؛ " هي وجه أمي في الظلام " ، وفي الصوت ؛ " و صوتها يتزلفان مع الرؤى " ، و النخيل ؛ " وهي النخيل أخاف منه إذا إدلهم مع الغروب " ، وهي الصورة و الصوت لدى العجوز ؛ " وهي المفلية العجوز و ما توشوش عن حزام " ، و الذكرى أيضا هي صورة

المستدفئين ؛ " تنورنا الوهاج تزحمه أكف المصطلين " ، وصوت العمة ؛ " و حديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين " ، ومن الذكرى أيضا صورة الرجال ؛ يعربدون ويسمرون بلا كلال ، أفتذكرين ؟ أتذكرين ؟ " ، و صورة السعداء القانعين رغم المعاناة ؛ " سعداء كنا قانعين " ، وصورة تسلط الرجال ؛ " ووراء باب كالقضاء ، قد أوصدته على النساء ، أيد تطاع بما تشاء " ، وتنتهي الذكرى فتغدو هباء ؛ " أفليس ذاك سوى هباء ، حلم ودورة أسطوانة " .

الحب

هو حب يمتد مع الوطن في طبقات تكافئية هي : " أحببت فيك عراق روحي ، و أحببتك أنت فيه " ، ثم يصبحان شيئا واحدا ؛ " يا أنتما ــ مصباح روحي ــ أنتما " ، " والليل أطبق فلتشعا في دجاه " ، و لا يكتمل اللقاء إلا بهما معا ؛ " لو جئت في البلد الغريب إلي ما كمل اللقاء ، الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاء " .

الشوق

تدور طبقات التكافؤ في محور الشوق مع دائرية الأسطوانة صوتا وصورة ؛ فطبقة الصوت هي : " بالأمس حين مررت بالمقهى ، سمعتك يا عراق ، وكنت دورة أسطوانة " . وطبقات الصورة هي : " شوق يخض دمي إليه ، كأن كل دمي اشتهاء " ، " جوع إليه .. كجوع كل دم الغريق إلى الهواء ، شوق الجنين إذا اشرأب من الظلام إلى الولادة " ، " واحسرتاه متى أنام فأحس أن على الوسادة ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق " ، " متى أعود إلى العراق ؟ متى أعود ؟ " ، تتكرر عبارة (متى أعود) أربع مرات في القصيدة ، ثم التساؤل عن هذا العود : " أتراه يأزف قبل موتي ، ذلك اليوم السعيد ؟ "

المعاناة

تنسحب صور المعاناة في القصيدة على الطبيعة والبشر أيضا في طبقات من التكافؤ ، متخذة مسارً دائريا على النحو التالي : الطبيعة حارة ملتهبة ؛ " الريح تلهث بالهجيرة كالجثام على الأصيل " ، والبشر كادحون " زحم الخليج بهن مكتدحونجوابو بحار " ، والبشر حفاة عراة " من كل حاف نصف عاري " ، و الغريب يطلق البصر في حيرة " جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج " ، ويحيا في منفى " ويجر في المنفى صليبه " ، " والبشر جوعى يسيرون في التراب تحت حرارة الشمس فتتعثر خطاهم وتدمى " فسمعت وقع خطى الجياع تسير ، تدمى من عثار ، فتذر في عيني ، منك ومن مناسمها غبار، مازلت أضرب مترب القدمين أشعث ، في الدروب ، تحت الشموس الأجنبية " ، وصورة الثياب البالية والتسول " متخافق الأطمار أبسط

بالسؤال يدا " ، والذل و الإهانة " ذل شحاذ غريب " ، بين احتقار وانتهار وازورار أو خطية " .

الخيال

للخيال صور تعترض طبقات القصيدة لتبث مجموعة من الصور المتخيلة للعودة إلى الوطن مشكلة طبقات من التكافؤ لصور من السعادة ؛ " ذلك اليوم السعيد " ، " سأفيق في ذاك الصباح " ، " و في النسمات برد مشبع بعطور آب " ، " و أزيح بالثوباء بقيا من نعاسي " ، " و يضيئ لي ما كنت أبحث عنه في عتمات نفسي " لِمَ يملأ الفرح الخفي شعاب نفسي كالضباب ؟ " ، " اليوم - واندفق السرور علي يفاجأني - أعود " .

التكافؤ التناصي

تظهرطبقات من التكافؤ على مستوى التناص عندما يتعالق النص الشعري مع نصوص أخرى يتثاقف ويتفاعل معها على الجانبين الظاهري والضمني ، ليصبح النص مجموعة من النصوص السابقة ، وعندئذ تتكون مستويات متوازية متكافئة بين النص والسياقات النصية الأخرى ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

لا تعد عيناك عنهم
إذا دخلوا الحلم أو خرجوا
اصدع بحلمك

فطبقتان من التكافؤ التناصي تنشأ بين القصيدة السابقة ، والآية : " ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا " ، والآية : " اصدع بما تؤمر "

التكافؤ التناصي في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

إن التداخل التناصي بين النصوص لا يرد على نحو اعتباطي مجرد من الوظيفة ، بل تتداخل النصوص لتؤدي دورا دلاليا ما داخل النص ، ويبقى على القارئ اكتشاف هذا الدور ، وتحديد الكيفية التي تماهى بها مع نسيج العلاقات بين وحدات النص . وإن الدراسة التناصية لقصيدة " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ، لا تتحقق دون ربطها بسياق القصة المرتبطة في الوعي العربي عن شخصية زرقاء اليمامة التي نقلتها كتب التراث العربي . وقد ارتبطت زرقاء اليمامة بمجموعة من الروابط الدلالية هي : الشخصية التي تمتلك خصائص أكثر من عادية ؛ كقوة الأبصار مع قوة في البصيرة تجعل لها القدرة على التنبؤ أو كشف الأحداث قبل وقوعها ، كما ارتبطت زرقاء اليمامة أيضا بالحرب والهزيمة بسبب إهمال تحذيراتها ومن ثم كان الندم عاقبة قومها .

لقد تماهت هذه الروابط الدلالية المتعلقة بالشخصية التاريخية مع نسيج قصيدة أمل دنقل " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ، مكونة مجموعة من طبقات التكافؤ التناصي كما يلي :

يشكل عنوان القصيدة طبقة تكافؤ تناصي مع موقف الندم والتحسر (البكاء) و هو موقف قوم زرقاء اليمامة . ثم تتشكل طبقات من التكافؤ التناصي من خلال تكرار صور لزرقاء اليمامة متماهية مع صفات : العرافة ، والقديسة " أيتها العرافة المقدسة " ، و النبوة " أيتها النبية المقدسة " ، كما تتكافأ الصور مع أقوالها التي تنبأت بها ، وتحذيراتها في الصور المرتبطة بفمها ؛ " عن فمك الياقوت عن النبوءة العذراء " ، وكذلك يظهر التكافؤ في التناص مع أقوالها ؛ " ما للجمال مشيها وئيدا ؟ أجندلا

يحملن أم حديدا ؟ " ، و أيضا تحذيرها من القوافل وما تثيره من الغبار " قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار " ، وقولها و قد رأت الأشجار سائرة إذ تخفي وراءها العدو : " سارت إليكم الأشجار " فتتكافأ مع القصيدة " قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار " .

ويتحقق التكافؤ التناصي أيضا مع موقف القوم من التكذيب والسخرية من زرقاء اليمامة ؛ " فاتهموا عينيك يا زرقاء بالبوار " ، " فاستضحكوا من وهمك الثرثار ، " فمن ترى يصدقني ؟ ، " ماذا تفيد الكلمات البائسة " ، ثم التكافؤ مع موقف فرار القوم حين باغتهم العدو ؛ " وحين فوجئوا بحد السيف قايضوا بنا والتمسوا الفرار " .

وتمتلئ القصيدة بالصور المتكافئة مع مشاهد القتل والسبي ، وما لحق بقوم الزرقاء من الهلاك والعار ، ومنها : " عن ساعدي المقطوع " ، " عن صور الأطفال في الخوذات ملقاة على الصحراء " ، " عن صرخة المرأة بين السبي والفرار " ، " لم يبق إلا الموت والحطام والدمار " ، وصبية مشردون يعبرون آخر النهار ، ونسوة يسقن في سلاسل الأسر ، وفي ثياب العار " . وكذلك التكافؤ التناصي مع ما فعله العدو من اقتلاع عيني الزرقاء ؛ " ها أنت يا زرقاء ، وحيدة عمياء " .

و تستدعي بعض أبيات القصيدة صورا أخرى من التكافؤات تتناص مع قصة عنترة بن شداد لتتماهى مع صور الذل والتجاهل والاحتقار الذي لاقاه عنترة من قومه ، واستبعاده من مجالس القوم ثم هو في المقابل يخوض ميدان الحرب لأجلهم ، وتكشف القصيدة عن تكافؤ تناصي لكلا الموقفين ؛ موقف ذل عنترة وحرمانه من الحياة مع قومه : " ظللت في عبيد عبس أحرس القطعان " ، " أنام في حظائر النسيان " ، " طعامي الكسرة والماء و بعض الثمرات اليابسة " ، ثم الموقف الآخر وهو موقف القوة والفروسية ؛ " وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان
دعيت للميدان "

كما يوظف التكافؤ التناصي في القصيدة تبادل الأدوار غير العادل بين عنترة وقومه ؛ حيث يكون الشخص المحتقر المستبعد هو من يحامي في مواقف الحرب (ميدان الموت) ، على حين يجبن المترفون المقربون عن اللقاء ، ويظهر تعالق هذه الأدوار في القصيدة كما يلي :

" أنا الذي ما ذقت لحم الضأن
أنا الذي لا حول لي ولا شأن
أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان
أدعى إلى الموت .. و لم أدع إلى المجالسة " .

تكافؤ التكرار

يؤدي التكرار وظائف معروفة في الشعر ، وأهمها ما يحققه التكرار من تماسك في بنى القصائد بالإضافة إلى تأكيد التجربة الشعرية والامتداد مع التموجات الانفعالية التي لا تكتفي بذكر المعنى لمرة واحدة . و بتكرار الوحدات داخل القصيدة تنشأ طبقات تكافئية تساهم في تماسك القصيدة من ناحية ، كما تساهم في رسم تشكيل القصيدة من ناحية أخرى .

تكافؤ التكرار في قصيدة اغضب

يتحقق التماسك النصي من خلال طبقات تكافئية تعتمد على التكرار في قصيدة اغضب للشاعر نزار القباني ؛ حيث تسير القصيدة معتمدة على أكثر من نوع للتكرار كما يلي :

أولا التكرار في بداية مقاطع القصيدة :

تعتمد القصيدة على طبقات تكافؤ تقوم على تكرار كلمة (اغضب) في بداية كل مقطع من مقاطع القصيدة و هي أربعة مقاطع تمثل أربع موجات من الغضب ؛

- تتشكل طبقة الغضب في المقطع الأول من مجموعة من الأفعال الغضبية هي : (اغضب ، اجرح ، حطم ، هدد ، أساؤوا) .
- الطبقة الثانية قصيرة عبارة عن سطر واحد ، وتتشكل فيها طبقة الغضب من الفعل (تثور) .
- تتشكل طبقة الغضب الثالثة من أسماء وليس أفعال هي : (الموج ، عاصفا ، ممطرا)

- تتشكل الطبقة الرابعة وهي أطول المقاطع ، من الأسماء : (التحدي ، عابث ، الغرور) ، والأفعال : (مللت ، اتهم ، أتعبك) ، ثم الأسماء : (دمعي ، حزني ، الصمت ، الحزن) .

ويتضح من تشكيل كل طبقة أنها تسير على نحو تدريجي من ذروة الغضب إلى السكون ؛ أولا من حيث استخدام الأفعال في الطبقتين الأوليين ، ثم استخدام الأسماء في الطبقتين الأخيرتين ، بما في الأفعال من حركة ، وما في الأسماء من ثبات ، و ثانيا من حيث دلالة أفعال الطبقتين الأوليين على الحدة والقوة مقارنة بضعف دلالات الأفعال في الطبقتين الأخيرتين . و ينتهي التدريج نحو السكون الغضبي في المقطع الأخير بدلالات الأسماء المرتبطة بالصمت والحزن كنوع من الاستسلام .

و تتكون طبقات من التكافؤ المعتمد على التكرار في ذات المقاطع الأربعة من القصيدة ، حيث تتكرر مفردات وعبارات بعينها مثل : تكرار عبارة (كما تشاء) لتدل على مطلق الحرية في الغضب :

اغضب كما تشاء ، واجرح أحاسيسي كما تشاء

و ذات العبارة تتكرر في المقطع الأخير للدلالة أيضا على مطلق الحرية : اغضب كما تشاء ، واذهب كما تشاء .

و تبدو حرية الغضب لا حدود لها في استخدام الحرف (كما) الدال على الهيئة والكيفية ، وأيضا في الوقت حيث تكررت العبارة (متى تشاء) مرتين في المقطع الأخير .

و في مقابل طبقات الغضب تتشكل طبقات أخرى من التكافؤ تعتمد على تكرار مفردات دالة على الحلم والحب على النحو التالي :

تظهر في المقطع الأول خمس مفردات دالة على الحلم والحب ، والمشاعر الرقيقة وهي : (فكل ما تقوله سواء ، وكل ما تفعله سواء ، فأنت كالأطفال يا حبيبي ، نحبهم) ، و في المقطع الثاني مفردة مرتبطة بمشاعر الحب هي (رائع) ، وتظهر في المقطع الثالث عبارة (فإن قلبي دائما غفور) ، و يصل المقطع الأخير إلى ذروة الحلم والحب من خلال : النفي (فلن أجيب بالتحدي) ، والاستفهام الإنكاري (وكيف من صغارها تنتقم الطيور) ، والأسلوب الشرطي (وعندما تحتاج كالطفل إلى حناني ، فعد إلى قلبي متى تشاء) ،ثم الجمل الإسمية الدالة على الاستمرارية والمعتمدة على تكرار الضمير أنت : فأنت في حياتي الهواء ، و أنت .. عندي الأرض والسماء .

التكافؤ الإيقاعي

يتنوع إيقاع الشعر ويتعقد ، و يزداد غنى بحسب غنى التجربة الشعورية ، وبذا يتبع الإيقاع في تنـوعه الـدفقات الانفعاليـة قصـرا وامتـدادا ، وإذا كان الوزن الشعري قالبا ثابتا ، فإن الإيقاع ذا سـمة متغيـرة و هـو ممـا يعد أهم ميزة في القصيدة الحديثة . ومن تنويعات التفعيلات والقوافي تنشأ طبقات إيقاعية تكافئية في القصيدة .

التكافؤ الإيقاعي في قصيدة هذا أنا وهذه مدينتي

أولا : التكافؤ الإيقاعي الوزني

تعتمد القصيدة على تكرار تنويعات من تفعيلة (مستفعلن) موزعة كما يلي :

15 تفعيلـة صـحيحة (مسـتفعلن) ، 18 تفعيلـة مخبونـة (متفعلـن) ، وتفعيلتان محذوفتان (مستفع) ، وثلاث تفعيلات مذيلة (مستفعلان) ، وتفعيلتـان مطويتـان (مسـتعلن) ، وتفعيلـة واحـدة مخبونـة ومذيلـة (متفعلان) ، وتفعيلة واحدة محذوذة (مسـتف) ، وتفعيلتـان مكونتـان من وتد مجموع (علن) .

وتتوزع القصيدة من حيث البنية الإيقاعية على خمـس طبقـات تكافئيـة كما يلي :

- تظهر طبقة التكافؤ الإيقاعي الأولى في بداية القصيدة ، ونهايتها حيث تتكافأ البدايـة والنهايـة فـي توزيـع التفعيلات (مسـتفعلن - متفعلن - متفعلن) وهي جملة : " هذا أنا وهذه مدينتي " .
- تتكون الطبقة الإيقاعية الثانيـة مـن تـوالي التفعيلـة الصـحيحة و المحذوفة ؛ (مستفعلن - مستفع) ، وتظهر في السطر الثالث " عند انتصاف الليل " ، والسطر الرابع عشر " مـن أنـت يا ..من أنت"
- وتتكون الطبقة الثالثة من توالي (متفعلن - مستفعلنمستفعلن) في السطر الرابع " رحابة الميـدان والجـدران تـل " ، والسـطر العاشر" و عين مصباح فضولي ممل " .
- وتنشأ الطبقة الرابعة مـن تفعيلـة مفـردة هـي التفعيلـة المذيلـة (مستفعلان) ، وترد في السطر السابع تلـو الجـزء الأخيـر مـن تفعيلة مـدورة : (لـن -مسـتفعلان) " ضـاعت فـي الـدروب " ، والسطر الثامن " ظل يذوب " .
- تتكـون طبقـة التكـافؤ الإيقـاعي الخامسـة مـن تفعيلـة مفـردة صحيحة هي (مستفعلن) تتكرر أربع مرات في الأسطر : (1 ،9

،17 ، 19) ؛ " هذا أنا " ، " يمتد ظل " ، " من غرفتي " ، " هذا أنا " .

ثانيا : التكافؤ الإيقاعي التقفوي

تظهر في القصيدة 19 قافية موزعة على ست طبقـات تكافئيـة كالتالي :

- النون المطلقة بالألف (أنا) ؛ وردت مرتين .
- التـــاء الممـــدودة ؛ وردت أربـــع مـــرات " مـــدينتي (مرتين) ، حكايتي ، غرفتي ".
- قافية اللام ؛ وردت خمس مرات " الليل ، تل (مرتين) ، ظل ، ممل "
- الميم ؛ وردت مرتين " ثم ، اليوم "
- الباء ؛ وردت مرتين " الدروب ، يذوب "
- التاء ؛ وردت ثلاث مرات " مررت ، سكت ، أنت "

طبقات تكافئية للوزن والقافية معا : في القصيدة ثلاث طبقـات إيقاعية جمعت بين تكافؤ الوزن ، وتكافؤ القافية هي :

- الطبقة الإيقاعيـة الأولـى ؛ بدايـة القصـيدة ونهايتهـا : "هـذا أنـا وهذه مدينتي "
- الطبقة الإيقاعية الرابعة : " رحابـة الميـدان والجـدران تـل " ، " وعين مصباح فضولي ممل " .
- الطبقة الإيقاعية الخامسة : " ضاعت في الدروب ، ظل يذوب " .

ولا شك أن هناك توافق بين تكافؤ الإيقاع وتكافؤ الدلالة وهو ممـا يزيـد من الثراء الموسيقي للقصيدة ؛ فالطبقـة الأولـى هـي الأنـا والمدينـة ، وهي تشكل دائرية القصيدة من ناحية ، والعلاقـة الرئيسـية بيـن الـذات والمكان من ناحية أخرى . والطبقة الإيقاعية الثانية تربط بين الزمان " عنـد انتصـاف الليـل " ، والسـؤال المـوجه فـي ذلـك الـوقت مـن قبـل الحـارس " ممـن أنـت يـا .. مـن أنـت " . وتربـط الطبقـة الثالثـة بيـن تناقضـات المكـان بيـن اتسـاع المكـان " رحابـة الميـدان " ، وارتفـاع الجدران " والجدران تل " فكأنه سجن مـن جهـة ، والعيـن المراقبـة " وعين مصباح فضولي ممل " من جهة أخرى مما يشير إلى أن المكـان متسع ولكن لا يسمح فيه بالحرية .

و تربط الطبقة الرابعة بين صورتين للضياع " ضـاعت فـي الـدروب " ، " ظل يذوب ".

و أما الطبقة الأخيرة فتربط بين الأنا ، والحيز الضيق الذي تعيش فيه " من غرفتي " .

وكذلك يرتبط تكافؤ القوافي بدلالات متكافئة ؛ فالطبقة الأولى هي مركز القصيدة وهي (الأنا) " هذا أنا " . والطبقة الثانية تربط المكانين اللذين وردا في القصيدة متعلقين ببعضهما ، وهما " غرفتي ، مدينتي "وهما يشكلان معا (حكاية) الأنا . وتصف طبقة قافية اللام وجود الأنا وشعورها في زمان ومكان محدد ؛ فأما وجودها فـ "ظل " ، والزمان " الليل " ، والمكان " تل " ، والشعور " ممل " .وتربط الطبقة الثالثة بين حرف العطف " ثم " ، والنتيجة التي انتهت إليها الأنا في القصيدة أو في الحكاية وهي " لقد طرت اليوم " . وتربط قافية الباء بين المكان " الدروب " ، والحال الذي كانت عليه الأنا في هذا المكان وهو التلاشي " يذوب " . و أخيرا تصف قافية التاء موقفا هو مواجهة الحارس للأنا وقت سيرها في الطريق : " دست على شعاعه لما مررت

و جاش وجداني بمقطع حزين
بدأته ثم سكت
من أنت يا .. من أنت "

التكافؤ اللوني

ارتبطت التجارب الإنسانية باللون سواء في وصف مظاهر الطبيعة والعالم الخارجي كالشيب والخضرة والسماء .. وغيرها من ظواهر العالم الذي يحياه الإنسان ، أو في وصف التجارب الشعورية ربطها بالألوان ؛كارتباط الحزن بالسواد ، والنقاء بالبياض إلى غير ذلك من المشاعر الإنسانية .

وقد اعتمد الشعراء على اللون في تصوير تجاربهم الشعرية ليضفوا عليها من مشاعرهم ما لا تضفيه الصور العارية من الألوان .و من الشعراء الذين اعتمدوا على توظيف اللون بكثرة في شعرهم ، نازك الملائكة حيث بدا واضحا إلحاحها على استخدام اللونين الأسود والأبيض من خلال ربطهما بمظاهر طبيعية تتمثل في الليل والنهار كما في قصيدتها (مر القطار)

التكافؤ اللوني في قصيدة مر القطار

تعتمد قصيدة مر القطار على طبقتين لونيتين هما : الليل والنهار ؛ فأما طبقة الليل فتمثل الطبقة الأساسية في القصيدة ، وترتبط بها طائفة ممتدة من المشاعر السلبية على النحو التالي :

السكون (الليل ممتد السكون) ، البلادة (لا شيء يقطعه سوى صوت بليد) ، الحيرة (لحمامة حيرى) ، البلاهة (الساعة البلهاء) ، الوهن (و لم يبق في نفسي سوى وجع وهون) ، السهر والتعب (من ساهرين ومتعبين) ، الثقل (أتخيل الليل الثقيل) ، السأم (في أعين سئمت وجوه الراكبين) ، الضجر والمرارة والملل والتعب

(أتصور الضجر المرير ، في أنفس ملت و أتعبها الصفير) ، (فيرى الوجوه المتعبة) ، السأم والصمت (سئمت مراقبة الظلام الصامت) ، (سأم الوجود) ، النأي (خلف التلال النائيات) ، الغبار (هي والحقائب تحت أكداس الغبار) ، الكسل والقفر (متنائيا نعسان في كسل يحدق في القفار) ، الغربة (في أوجه الغرباء) ، الشرود والبرود (و يكاد يغفو ثم يسمع في شرود ، صوتا يغمغم في برود) ، (يراقب في برود) ، الذهول (و تدق ساعته ثلاثا في ذهول) ، الإجهاد (إذ ذاك يتئد القطار المجهد) ، الانطواء (وفتى هناك في انطواء) ، التنهد (يأبى الرقاد و لم يزل يتنهد) ، البرودة والوجوم (في مقلتيه برودة خط الوجوم) ، الجدب (عن شبه حلم يفرش الليل الجديب) ، الخشية والفرار(و كأنها تخشى فرار أشعة) ، المقت (أو أن ترى شيئا مقيتا لا يطاق) ، الضجر والحزن (هذا الفتى الضجر الحزين) ، السقم (تكرارها البالي السقيم) ، العبوس (و يطل وجه عابس) ، الصراخ (في كل جفن صرخة باسم النهار) ، الضياع والسهاد والركود (وتضيع أقدام الخفير الساهد خلف الظلام الراكد) ، (مر القطار و ضاع في قلب القفار) ، الوحدة (وبقيت وحدي أسأل الليل الشرود) .
وتظهر طبقة الضوء متخللة طبقة الظلام من خلال النجوم (كلب ينبح النجم البعيد) ، ويرتبط بالضوء مشاعر على النقيض من المشاعر الليلة السلبية وهي : الرجاء (عجلاته عزلت رجاء بت أنتظره) ، الحلم (و أنا أحدق في النجوم الحالمات) ، الانتظار (انتظر النهار) ، اللوح (ويلوح مصباح الخفير) ، (و يلوح ضوء محطة عبر المساء) ، الترقب (يرتقب النجوم) .
وتظهر طبقة لونية تتخلل الامتداد الليلي وهي آثار من اللون الأحمر ارتبط بالأحلام (ألقت عليه الأحلام آثار احمرار) .

التكافؤ السياقي

تحيل بعض القصائد إلى سياقات خارجية قد تتعلق بالمجتمع أو بعلامات مشتركة في ثقافة أفراد المجتمع الواحد ، و إن البحث في المعنى المركب من العلاقات السياقية - بحسب فكرة فيرث - هو ما يحقق الوظيفة التداولية ، وبطبيعة الحال فإن هذه الوظيفة لا تتأتى إلا في السياق المقامي للنص .و بتلاق الخطوط الأساسية المتقاربة للسياقات في القصيدة تتشكل الطبقات التكافئية .

التكافؤ السياقي في قصيدة : في بيت نزار قباني

يظهر التكافؤ السياقي في قصيدة محمود درويش التي عنونها (في بيت نزار قباني) ، ومنذ العنوان والقصيدة تتعلق بسياق محدد

هو الشاعر نزار القباني ، حيث تتشكل طبقات من التكافؤ المحيلة إلى نزار وهي :

- **الطبقات المحيلة إلى بيئة نزار**

الطبقة الأولى تحيل إلى بيت الشاعر : و هي بيئة شعرية بكل تفاصيلها تحيط فيها القصيدة بكل شيء كأنها سكن ؛

بيت من الشعر - بيت الدمشقي
من جرس الباب حتى غطاء السرير
كأن القصيدة سكنى وهندسة الغمام

الطبقة الثانية : تحيل إلى طريقة نزار في الكتابة :

بلا مكتب كان يكتب .. يكتب فوق وسادة
ليلا ، و تكمل أحلامه ذكريات اليمام

الطبقة الثالثة : تحيل إلى لون البيئة الشعرية والمكانية في نفس الوقت ، وكما تلون شعر نزار باللون الأزرق ، كذلك انسحبت الزرقة على شيء حوله في عالمه وأبجديته ، وكأنما استمد الزرقة من البحر والسماء بكل ما فيهما من الهدوء والبرودة والاتساع :

أرض العبارة زرقاء ، شفافة ، ليله
أزرق مثل عينيه ، آنية الزهر زرقاء
والستائر زرقاء
سجاد الغرفة أزرق ، دمعه حين يبكي
رحيل ابنه في الممرات أزرق ، آثار
زوجته في الخزانة زرقاء ، لم تعد
الأرض في حاجة لسماء ، فإن قليلا
من البحر في الشعر يكفي لينتشر الأزرق
الأبدي على الأبجدية

الطبقة الرابعة : تحيل إلى علاقاته بالنساء وهي تكشف عن اقتصار دور النساء في حياة نزار على وصفهن في الأشعار ؛ ويصحو على نفس امرأة من نخيل العراق

تعد له الفل في المزهرية
تحط النساء
على قلبه خدما للمعاني ، ويذهبن في
كلمات الأغاني

الطبقات التكافئية المحيلة إلى نزار

الطبقة الأولى تصفه من الخارج : كان أنيقا كريش الطاووس ، لكنه لم يكن (دون جوان)

الطبقة الثانية تصفه من الداخل : داخلي غرف لا يمر بها أحد للتحية

الطبقة الثالثة تحيل إلى وصفه كشاعر واضح عفوي يكشف ظاهره باطنه :

أنا شاعر الضوء
والفل .. لا ظل .. لا ظل في لغتي
كل شيء يدل على ما هو الياسمين .. أنا
العفوي ، البهي ، أرقص خيل الحماسة
فوق سطوح الغناء ، و تكسرني غيمة
صورتي كتبت سيرتي

الطبقات المحيلة إلى علاقته بدمشق

الطبقة الأولى : فراقه لدمشق في حياته : منذ تركت دمشق تدفق في لغتي
بردى ، واتسعت

الطبقة الثانية : عودته لدمشق حين موته : قلت له حين متنا معا و على حدة : أنت في حاجة لهواء دمشق
فقال : سأقفز ،عما قليل ، لأرقد في
حفرة في سماء دمشق

الطبقات التكافئية المحيلة إلى علاقة الشاعر محمود درويش ونزار قباني :

الطبقة الأولى : الموت معا : قلت له حين متنا معا

الطبقة الثانية : موت كل على حدة : فقلت : انتظر
ريثما أتعافى لأحمل عنك الكلام
الأخير ، انتظرني ولا تذهب الآن ، لا
تمتحني ولا تشكل الآس وحدك
قال : انتظر أنت ، عش أنت بعدي فلابد من
شاعر ينتظر
فانتظرت ، وأرجأت موتي

التكافؤ التعبيري

للنصوص الأدبية ميزة تخصها باعتبارها نصوصا إبداعية فنية ، وهي امتلاكها الخصائص الجمالية التعبيرية التي تميزها عن الاستعمالات

العاديــة للغــة ، والصــورة هــي منــاط تفــوق الشــاعر ، ومجــال إظهــار إمكاناته الفنية في استخدام اللغة ، واختلافه عن غيره من الشعراء . و لكن يبقى لكل شاعر تقارب بين استعمالاته المجازية للصور الشعرية ؛ فالشاعر وإن توالت تنويعاته الإبداعيـة تظـل ملامـح التجربـة لـديه تلـح على رسم صورا بعينها تترابط فيما بينها لتشكل تناسـقا وتناغمـا يظهـر على نحو جلي طبقات مـن التكـافؤ لعناصـر الصـورة ، ومهمـا اكتسـت الصورة عند شاعر ما بصياغات جديدة ، تظل أجزاؤها الأصيلة ثابتة .

التكافؤ التعبيري في أنشودة المطر

تتـآزر الصـور الجزئيـة فـي قصـيدة أنشـودة المطـر فـي علاقـات حيـة متناميـة بيـن الوحـدات الصـغيرة ، لترسـم الصـورة الشـعرية العامـة ، وتصـل بهـا نحـو الاكتمـال ، وتتضـح الحركـة المتناميـة للصـور مشـكلة طبقات تكافئية على النحو التالي :

1- الطبقات التكافئية لصور المطر

الطبقة الأولى : السحاب : كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة فقطرة تذوب في المطر

الطبقة الثانية : الغيوم : تثاءب المساء والغيوم ما تزال

الطبقة الثالثة : البروق والرعود : وعبر أمواج الخليج تمسح البروق
سواحل العراق بالنجوم والمحار
، أكاد أسمع العراق يذخر بالرعود
و يخزن البروق في السهول والجبال

الطبقة الرابعة : العواصف والرعود : يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع
عواصف الخليج ، والرعود ، منشدين

الطبقة الخامسة : هطول المطر : و منذ أن كنا صغارا ، كانت السماء
تغيم في الشتاء
و يهطل المطر

الطبقة السادسة : العشب : وكل عام حين يعشب الثرى
، سيعشب العراق بالمطر

الطبقات التكافئية لصور الحزن

الطبقة الأولى : البكاء : فتستفيق ملء روحي رعشة البكاء

الطبقة الثانية : فقد الأم : بأن أمه التي أفاق منذ عام فلم يجدها

الطبقة الثالثة : الدموع : تسح ما تسح من دموعها الثقال
، و كم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموع

الطبقة الرابعة : الحزن : أتعلمين أي حزن يبعث المطر

الطبقة الخامسة : النشيج : و كيف تنشج المزاريب إذا انهمر

الطبقة السادسة : الأسى : و تغرقان في ضباب من أسى شفيف
الطبقــة الســابعة : الضـياع والوحــدة : و كيـف يشــعر الوحيــد فيــه بالضياع
الطبقة الثامنة : الأنين : و أسمع القرى تئن

الطبقات التكافئية لصور الموت

الطبقة الأولى **:** اللحود : في جانب التل تنام نومة اللحود
الطبقة الثانية : الموتى : كالموتى
الطبقة الثالثة : إراقة الدم : وكل قطرة تراق من دم العبيد
، فيسحب الليل عليها من دم دثار
الطبقة الرابعة : الغرق : و ما تبقى من عظام بائس غريق
الطبقة الخامسة :الرفات : من زهرة يربها الرفات بالندى
الطبقة السادسة :الفناء : لم تترك الرياح من ثمود
في الواد من أثر
الطبقة السابعة : الردى : ظل يشرب الردى
، يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى

الطبقات التكافئية لصور العينين

الطبقة الأولى : الغابة : عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
الطبقة الثانية : الشرفة : أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
الطبقة الثالثة : النجوم : كأنما تنبض في غوريهما النجوم
الطبقة الرابعة : الضباب : وتغرقان في ضباب من أسى شفيف
الطبقة الخامسة : التطواف : و مقلتاك بي تطيفان مع المطر

الطبقات التكافئية لصور الضوء

الطبقة الأولى : حركة الأضواء والقمر : و ترقص الأضواء كالأقمـار فـي نهر
الطبقة الثانية : النشوة والخوف : كنشوة الطفل إذا خاف من القمر
الطبقة الثالثة : الغناء : وينثر الغناء حين يأفل القمر
الطبقة الرابعة : الشروق : سواحل العراق بالنجوم والمحار
كأنها تهم بالشروق

الطبقات التكافئية لصور الماء

الطبقة الأولى : النهر: وترقص الأضواء كالأقمار في نهر
الطبقة الثانية : المجداف : يرجه المجداف وهنا ساعة السحر
الطبقة الثالثة : البحر : كالبحر سرح اليدين فوقه المساء
الطبقة الرابعة : الصياد والشباك : كأن صيادا حزينا يجمع الشباك

الطبقة الخامسة : الخليج : أصيح بالخليج يا خليج
الطبقة السادسة : القلوع : يصارعون بالمجاذيف و بالقلوع

الطبقات التكافئية لصور الفقر

الطبقة الأولى :الجياع : بلا انتهاء - كالدم المراق - كالجياع
، و كل دمعة من الجياع والعراة
الطبقة الثانية : الجوع : و في العراق جوع
، و كل عام حين يعشب الثرى - نجوع
ما مر عام والعراق ليس فيه جوع
، و في العراق جوع
الطبقة الثالثة : العراة : و كل دمعة من الجياع والعراة

الطبقات التكافئية لصور الحياة

الطبقة الأولى : الفرح : و كرر الأطفال في عرائش الكروم
و دغدغت صمت العصافير على الشجر
الطبقة الثانية : النشيد : أنشودة المطر
الطبقة الثالثة : الغناء : و ينثر الغناء
الطبقة الرابعة : الحب : كالحب كالأطفال
الطبقة الخامسة : الغلال : وينثر الغلال فيه موسم الحصاد
الطبقة السادسة : الرحى : رحى تدور في الحقول .. حولها بشر
الطبقة السابعة : العشب : وكل عام حين يعشب الثرى
الطبقة الثامنة : الألوان والزهر : حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
الطبقة التاسعة : الابتسام : فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
الطبقة العاشرة : الرضاع : أو حلمة توردت على فم الوليد
الطبقة الحادية عشرة : الفتوة : في عالم الغد الفتي واهب الحياة

التكافؤ الصوتي

يظهر انسجام ما على المستوى الصوتي داخل النصوص عندما تتكافأ أصوات بعينها من حيث الشدة ، والرخاوة ، أو الهمس والجهر .. إلخ ، كما يحدث تكرار حروف أو حركات أو مدود بعينها ذات الانسجام للنصوص . و يسير تناغم الأصوات في القصيدة وفق الدفقات الشعورية لتجربة الشاعر ؛ بحيث تتبع الأصوات دلالة الكلمة لتؤكد معنى بعينه .

التكافؤ الصوتي في قصيدة تعاشيق

تنشأ من توافقات الأصوات طبقات تكافئية في قصيدة تعاشيق لمحمد عفيفي مطر حيث اعتمد الإيقاع الصوتي فيها على طبقتين تكافئيتين هما :

- طبقة الأصوات الانفجارية ، وهي الطبقة الأساسية في القصيدة ؛ و تتكون من (الدال ، الطاء ، الضاد ، التاء ، الجيم ، القاف ، الباء ، الهمزة) .
- طبقة الأصوات الصفيرية ، و ترد على نحو أقل من الأصوات الانفجارية ، و تتكون من (السين ، الزاء ، الصاد) .

الطبقات التكافئية للأصوات الانفجارية

تشمل طبقة الأصوات الانفجارية : (الطير ، منفرط ، منعقد ، يتقد ، الولد ، الأضواء ، رأد ، ضحى ، قبس ، القلب ، ينفئد ، تجد ، تلد ، بدد ، الزجاج ، قد ، بدد ، غرتها ، بين ، أقواس ، الصلب ، ماء ، زبد ، العشب ، بعض ، الوجه ، الطين ، لا يعد ، الدارعون ، هباء ، زرد ، خطاك ، تعشيقها ، جمد ، قصدير ، البدد ، الزجاج ، الجسد ، بالشيب ، ترتعد ، اهبط ، شطب ، اخطف ، فتاتك ، بين ، جديلتها ، الرصد ، يد ، الزجاج ، طلسمه ، نقطة ، عنبر ، أرجها ، بعشقك ، بالسحر ، ينعقد ، اركض ، الأرض ،أضرم ، خرائبها ، و أكبرا ، وابلغا ، تعشيقة ، زجاجها ، الأبد) .

وترتبط جميعها بدلالات : الحركة (الطير ، الركض) ، القوة (التوقد ، الدارعون ، الزرد) ، اللون الأخضر (خضرة) ، الضياع (ضائعة ، البدد ، منفرط) ، العاطفة (القلب ، ينفئد ، تعشيقة)، الضياء (الضحى الزجاج)،الجمود (لا تلد ، لا تعد ، جمد ، منعقد) .

الطبقات التكافئية للأصوات الصفيرية

تشمل طبقة الأصوات الصفيرية : (الشمس ، سرب ، قبس ، الزجاج ، أقواس ، الزجاج ، زبد ، سواف ، عصف ، أزمنة ، صافنة ، زرد ، خمسون ،الزجاج ، قصدير ، سعف ، الجسد ، صرخة ، الرصد ، السحر ، طلسمه) .

وترتبط جميعها بدلالات : الضياء (الشمس ، الزجاج ، قبس) ، القوة (أقواس ، زرد ، الرصد ، صافنة) ، الصلابة (قصدير ، زرد) ، اللون الأصفر ، والذبول (عصف ، و سعف) ، القوة غير العادية (السحر) ، قوة الصوت (صرخة) ، الضياع (زبد) ، الزمن (أزمنة ، خمسون) .

و يتضح اشتراك الطبقات الانفجارية مع الصفيرية في دلالات : القوة ، الضياء ، الضياع ، بينما تختلف في دلالات اللون .

الخاتمة

يخلص البحث في تطبيق منهج طبقات التكافؤ في دراسة النصوص الشعرية إلى جملة من النتائج هي :-

- الكشف عن آليات جديدة لفهم النصوص الشعرية .
- امتلاك أدوات بحثية ونقدية ذات فعالية في دراسة النص الأدبي .

- يمكن دراسة طبقات التكافؤ على مستويات عدة في النص الشعري .
- يعمل منهج طبقات التكافؤ على تحليل النصوص بحسب الكيفية التي تترابط بها الجمل في النص الشعري . وأن الجمل تتوالى في النصوص الأدبية على نحو يكشف عن استعمال خاص للغة يختلف عن الاستعمال اللغوي العادي للألفاظ .
- لا تتشكل العلاقات بين الجمل على نحو اعتباطي ، بل على نحو من الترابط ، وإن التحليل وفق منهج التكافؤ يظهر كيف تترابط الجمل وفق قوانين للتماسك النصي .

المصادر الشعرية

1 - الأعمال الشعرية الكاملة - أمل دنقل - ط 3 - مكتبة مدبولي - القاهرة - 1987.
2 - الأعمال الشعرية الكاملة - بدر شاكر السياب - دار العودة - بيروت - 2005 .
3 - الأعمال الكاملة - صلاح عبد الصبور - دار العودة - بيروت - 2015 .
4 - الأعمال الشعرية - محمد عفيفي مطر - دار الشروق - ط 1 - 1998.
5 - الأعمال الكاملة - محمود درويش - منتدى مكتبة الأسكندرية - الأسكندرية .
6 - الأعمال الكاملة - نزار القباني - ج 1 - منشورات نزار قباني - بيروت - لبنان.
7 - أنشودة المطر - بدر شاكر السياب - مجلة الفيصل الأدبية - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - مج 1- ع 1 -مارس 2005
8 - ديوان نازك الملائكة - مج 2 - دار العودة - بيروت - 1997.
9 - شرح ديوان ابن الفارض - ت. شرحي البوريني والنابلسي -ج 1- جمعة الفاضل رشيد غالب البناني - دار الكتب العلمية 1439.
10 - مدينة بلا قلب - أحمد عبد المعطي حجازي - مطابع أخبار اليوم - القاهرة .
11 - نهج البردة - تحقيق سليم البشري ، أحمد حسن الزيات - ط 1 - مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة 2009.

المراجع

1-أصول تحليل الخطاب - محمد الشاوش - المؤسسة العربية - بيروت - ط 1 -2001 .
2 - الإطار النظري لمفهوم السياق - عبد العزيز ، كمال علي بابكر - مجلة دراسات حوض النيل - جامعة النيلين - إدارة البحوث والتنمية والتطوير - مج 7 ، ع 13 - 2011 .
3 - الإيقاع في شعر سميح القاسم دراسة أسلوبية - صالح علي صقر عابد - بحث ماجستير - جامعة الأزهر - غزة - 2012 .
4 - تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي - شوقي ضيف - دار المعارف ط 24 - مصر - 2003 .
محاضرات في لسانيات النص - جميل حمداوي - شبكة الألوكة - ط 1 2015 .

5 - التكافؤ الدينامي بين لسانيات النص وعلم الترجمة - محمد رفيق مباركي - رسالة ماجستير -جامعة منتوري -الجزائر 2009 .
6- جماليات التكرار في القصيدة المعاصرة - آمال دهنون - مجلة كلية الآداب - والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر . العددان 3 ،2 جانفي - جوان 2008 .
7- دراسات اللغة ودراسات الترجمة - محمد عبد الله العبد اللطيف - كلية اللغات والترجمة -جامعة الملك سعود - الرياض- ربيع الآخر 1424.
8 - دلالات الألوان في شعر نزار قباني - أحمد عبد الله محمد حمدان - رسالة ماجستير - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين 2008 .
9 - ظاهرة التكرار في شعر نزار القباني - كامليا بن معمر - رسالة ماجستير - جامعة العربي بن مهيدي - الجمهورية الجزائرية - 2011/2012 .
10 - فاعلية الإيقاع في التصوير الشعري - علاء حسين عليوي البدراني - رسالة دكتوراه - الجامعة العراقية - 2012 .
11- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - نور الدين علي بن عبد الله السمهودي - تحقيق قاسم السامرائي - ج 1-ط 1-دار الكتب العلمية - بيروت - 2010 .